نصوص تراثية:

التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة

تأليف

الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي

(٨٤٩ - ٩١١هـ) (١٤٤٥ - ١٥٠٥هـ)

تحقيق: أ. د. عبدالرحيم الكردي*

مقدمة :

هذا الكتاب يعالج قضية التجديد فى الإسلام ، وهى من أخطر القضايا فى الفكر الإسلامى ، ولا ترجع أهمية هذا الكتاب إلى موضوعه فحسب ، بل تعود إلى كونه الكتاب المحورى الوحيد الذى استندت إليه الكتب التى تناولت قضية التجديد الإسلامى بعده ، فليس له نظير فى التراث الإسلامى إلا كتاب العلامة ابن حجر العسقلانى (الفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة) ، وهو كتاب مفقود ، لم يعثر عليه السيوطى ـ نفسه ـ رغم شدة طلبه له وقرب عهده به .

وأشهر الكتب التى ألفت فى العصر الحديث ودارت كل موضوعاتها حول قضية التجديد فى الإسلام ـ ثلاثة كتب ، كلها كانت امتدادًا أو بسطًا لكتاب السيوطى الذى نقدم له الآن :

الكتاب الأول (بغية المقتدين ومنحة المجدين على تحفة المهتدين) للجرجاوى المراغى . ويعتبر تكملة لكتاب السيوطى هذا ، وشرحًا لقصيدته التى أطلق عليها (تحفة المهتدين فى أخبار المجددين) .

والكتاب الثانى هو (المجددون فى الإسلام) للأستاذ أمين الخولى . ويصرح الخولى فى أوله بأنه كتبه على أساس كتابى السيوطى والجرجاوى ، يقول رحمه الله : (فكانت الخطة أن أقدم مخطوط السيوطى المسمى التنبئة ، ثم أكمله فيما بعد زمن السيوطى من كتاب المراغى (بغية المقتدين) فأدون بذلك قول القدماء ، بعبارتهم فى فكرة التجديد على رأس كل مائة ، ثم أكمل هذه الصورة التاريخية بترجمة من سموهم المجددين ، ترجمة تقصد إلى بيان أعمالهم وأفكارهم فى التجديد) ، أى أن أمين الخولى كان يقصد أن يؤلف موسوعة تجديدية تشمل تحقيق الكتابين ، وتستوعب المجددين فى العصر الحديث ، لكن الأجل لم يمهله حتى يتم ما بدأ ، وظل كتاب السيوطى حبيس مخطوطته فى دار الكتب المصرية .

(*) رئيس قسم اللغة العربية ، كلية التربية ـ جامعة قناة السويس .

الكتاب الثالث هو (المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر) للأستاذ عبد المتعال الصعيدى . وترجم فيه الصعيدى لطائفة من المجددين فى كل قرن من القرون الإسلامية ، وبدأه أيضًا بقصيدة السيوطى (تحفة المهتدين) ، وسار فى الطريق الذى سار فيه كُلٌّ من السيوطى والجرجاوى .

تناول السيوطى قضية التجديد فى الدين خلال ترجمته للمجددين ، وبيان صفاتهم وأعمالهم ، وهى الطريقة التى اتبعها الجرجاوى والخولى والصعيدى ، وإن كان مفهوم أمين الخولى عن التجديد يختلف عن الباقين ، فبينما فهم هو التجديد على أنه مرادف للتطور والتحديث فى كل شىء فى الإسلام حتى فى العقيدة ، تبعًا لتطور الحياة : تطورًا وتحديثًا لا يخل بجوهر الإسلام وأصوله ، بينما فهم الخولى التجديد هكذا كان مفهوم التجديد عند السيوطى والصعيدى يعنى العودة إلى المنبع ، إذ يذهبان إلى أن موانع نهضة المسلمين لا تكمن فى شدة تمسكهم بعقيدتهم أو التقوقع فيها ، وإنما تكمن فى انحرافهم عن هذه العقيدة ، أى فى ابتداعهم أمورًا لم تكن فى الدين ، من ثم فإن التجديد عند السيوطى نقيض الابتداع وليس نقيض الجمود ، كما هو الحال عند الخولى .

على أن الهدف من تحقيق هذا الكتاب ـ الذى نقدمه الآن ـ ليس مناقشة ما ورد فيه من آراء صائبة أو خاطئة ، بل هدفنا منه هو الهدف الذى قصد إليه الأستاذ أمين الخولى عندما عزم على إخراج الكتاب وتقديمه للقراء – ولم يمهله القدر لإتمامه– وهو أن يقام البحث فى قضايا التجديد فى وقتنا الحالى على أساس من التراث الدينى ، هذا الأساس يمنح البحث مزيدًا من المشروعية ، ويجعله تطورًا حديثًا موصولا بجذوره التاريخية ، تمليه متطلبات حياة المسلمين المعاصرة ، وتنتفى عنه شبهة البدعة أو الإملاءات الخارجية المغرضة .

وقد اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب على :

١– مخطوطة دار الكتب المصرية التى عنوانها «التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة» ، (مجاميع طلعت ٥/٩٨ و ٣٣٨٨٦ ميكروفيلم ٤١٠٩٧) ، وهى مخطوطة قديمة نسخها محمد جاد الله بن عبد العزيز بن عمر بن تقى الدين الهاشمى ، بمكة المكرمة عام ٩١٩هـ ، أى بعد وفاة السيوطى بثمانى سنوات فقط .

٢– مخطوطة أخرى بدار الكتب تحت عنوان «تحفة المهتدين فى أخبار المجددين» (مجاميع طلعت أيضًا ٩/٧٠٢ ، من ص١٧ حتى ص٣٢) ، وهى ناقصة ، ويبدو أنها أحدث كثيرا من النسخة السابقة .

٣- مخطوطة ثالثة تحتوى ورقتين فقط ، فيهما قصيدة السيوطى الواردة فى آخر كتاب التنبئة ، وهى بعنوان «تحفة المجتهدين فى أسماء المجددين» (مجاميع ٧/٤٨٥) .

وقابلت النصوص التى نقلها السيوطى من كتاب «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى» على نسخة الكتاب المخطوطة وطبعته المنشورة ، وكذلك نقوله من كتب : «الناسخ والمنسوخ» لابن النحاس ، و«المنقذ من الضلال» للغزالى ، و«موطأ مالك» وكتب الصحاح . . . وغيرها .

والتزمتُ فى التحقيق عدم الإطالة فى الحواشى أو التعليقات ؛ حتى لا ينقطع سياق النص .

وبعد ؛ فعسى أن يشارك تقديم هذا الكتاب ـ كاملا ـ فى إثراء الفكر التجديدى فى الإسلام ، وتدعيمه وإمداده بجذور قوية ثابتة .

والله يهدى إلى سواء السبيل ،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله الذى خص هذه الأمة الشريفة بخصائص واضحة للمهتدين ، وبعث على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدد لها أمر الدين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، سيد المرسلين وإمام المقتدين ، وعلى آله وصحبه وسلم ، نجوم الهداة ، ورجوم المعتدين . . . وبعـــد ؛

فهذا كتاب سميته (التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة) .

أخرج أبو داود فى سننه ، والحسن بن سفيان فى مسنده ، والبزار ، والطبرانى فى «الأوسط» ، وابن عدى فى مقدمة «الكامل» ، والحاكم فى «المستدرك» وصححه ، وأبو نعيم فى «الحلية» ، والبيهقى فى المدخل من طريق خالد بن وهب ، عن سعيد بن أبى أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافرى ، عن أبى علقمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» .

اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح ، وممن نص على صحته من المتأخرين الحافظ أبو الفضل العراقى ، والحافظ أبو الفضل بن حجر فى مناقب الشافعية ، فأما المتقدمون فكلهم لهجوا بذكر هذا الحديث ، فأخرج الحاكم فى مستدركه - عقب روايته الحديث - عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهرى ، قال : «فلما كان فى رأس المائة مَنَّ الله على هذه الأمة بعمر بن عبد العزيز» ، قال الحافظ ابن حجر : «وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهورا فى ذلك العصر ، ففيه تقوية لسنده ، مع أنه قوى لثقة رجاله» . انتهى

قال أبو جعفر النحاس فى كتاب «الناسخ والمنسوخ» : قال سفيان بن عيينه رحمه الله ـ : «بلغنى أنه يخرج فى كل مائة سنة - بعد موت النبى ﷺ - رجل من العلماء يقوى الله به الدين ، وأن يحيى بن آدم عندى منهم»[1] . انتهى .

وكانت وفاة يحيى بن آدم سنة ثلاث ومائتين ، وكان مولى خالد بن عقبة بن أبى معيط[2] ، جامعا للعلم ، ولم يكن من أهل البيت النبوى بوجه ، إلا أن يكون من جهة الأمهات .

---

(١) هو يحيى بن آدم بن سليمان ، من محدثى القرنين الثانى والثالث الهجريين ، راجع ترجمته فى الفهرست ص٢٢٧ ، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص١٥٣ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥٢٦/٨ .

(٢) هو مولى خالد بن خالد بن عمارة بن عقبة بن أبى معيط ، كما ورد فى الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦/٨ ، وليس مولى خالد بن عقبة بن أبى معيط ؛ لأنه متقدم جدًا فقد أسلم يوم فتح مكة .

وقال أبو بكر البزار : «سمعت عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى[١] يقول : «كنت عند أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، فجرى ذكر الشافعى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فرأيت أحمد يرفعه ، وقال : «روى عن النبى ﷺ أنه قال : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها» قال : فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى ، وأرجو أن يكون الشافعى على رأس المائة الأخرى» .

وأخرج البيهقى فى «المدخل» ، وابن عساكر فى «التبيين»[٢] من طريق أبى بكر المروزى صاحب أحمد ، قال : «قال أحمد بن حنبل : إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خيرا قلت فيها بقول الشافعى ؛ لأنه إمام عالم من قريش ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «عالم قريش يملأ الأرض علما» .

وذكر فى الخبر : «أن الله يقيض فى رأس كل مائة سنة رجلا يعلم الناس دينهم» . قال أحمد : «فكان فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وفى الثانية الشافعى» .

وأخرج البيهقى من طريق أبى سعيد الفريابى ، قال : «قال أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، «إن الله يقيض للناس فى رأس كل مائة سنة من يعلم الناس السنن ، وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب ، فنظرنا فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفى رأس المائتين الشافعى» .

وأخرج أبو إسماعيل الهروى من طريق حميد بن زنجويه قال : «سمعت أحمد بن حنبل يقول : يروى فى الحديث عن النبى ﷺ : «إن الله يمن على أهل دينه فى رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتى ؛ يبين لهم أمر دينهم ، وإنى نظرت فى مائة سنة فإذا هو رجل من آل رسول الله ﷺ ، وهو عمر بن عبد العزيز ، وفى رأس المائة الثانية ، فإذا هو محمد بن إدريس الشافعى ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

[وأخرج ابن عساكر من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : «سمعت أبى يقول : «روى عن النبى ﷺ أنه قال : «إن الله يقيض فى رأس كل مائة سنة رجلا من أهل بيتى ؛ يعلم الناس الدين» قال أبى : «فنظرت فى المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبدالعزيز ، ونظرنا فى الثانية فإذا هو الشافعى ، محمد بن إدريس[٣]] .

---

(١) هذه هى صحة الاسم كما ورد فى حلية الأولياء ١٦٦/٩ ، وقد ورد فى كتاب «المجددون فى الإسلام» لأمين الخولى «عبد الله بن عبد الحميد المغربى» .

(٢) هو كتاب «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى» الذى كنيته ابن عساكر ، للرد على الحسن بن على الأهوازى .

(٣) هذه الفقرة ليست مخطوطة دار الكتب وهى منقولة فى نسخة الأستاذ الخولى فى كتابه «المجددون فى الإسلام» .

وقال ابن عدى بعد إخراجه الحديث : «قال محمد بن على بن الحسين : سمعت أصحابنا يقولون : كان فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وفى المائة الثانية محمد بن إدريس الشافعى» .

وقال الحاكم : «سمعت الشيخ أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول : كنا فى مجلس القاضى أبى العباس ابن سريج[١] ، فقام إليه شيخ من أهل العلم ، فقال : أبشر أيها القاضى ، فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها - يعنى الأمة - أمر دينها ، وأنه بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وبعث على رأس المائتين الشافعى ، وبعثك على رأس الثلاثمائة ، ثم أنشأ يقول :

اثنان قد مضيا فبورك فيهما ... عمر الخليفة ثم حلف السؤدد
الشافعى الألمعى محمد ... إرث النبوة وابن عم محمد
أبشر أبا العباس إنك ثالث ... من بعدهم سقيا لتربة أحمد

فصاح ابن سريج وبكى وقال : «لقد نعى إلىَّ نفسى» ، فمات فى تلك السنة» .

قال الحاكم : «فلما رويت أنا هذه الحكاية كتبوها ، وكان ممن كتبها شيخ أديب فقيه ، فلما كان فى المجلس الثانى ، قال لى بعض الحاضرين : إن هذا الشيخ قد زاد فى تلك الأبيات ذكر أبى الطيب سهل بن محمد[٢] وجعله على رأس الأربعمائة فقال :

والرابع المشهور سهل محمد ... أضحى إماما عند كل موحد
يأوى إليه المسلمون بأسرهم ... فى العلم إن جاءوا بخطب مؤيد
لا زال فيما بيننا شيخ الورى ... للمذهب المختار خير مجدد

قال الحاكم : «فلما سمعت هذه الأبيات المزيدة سكتُّ ، ولم أنطق ، وغمنى ذلك إلى أن قدر الله وفاته تلك السنة» . أسنده ابن عساكر فى التبيين .

وقال أبو حفص عمر بن على المطوعى فى كتاب «المذهب فى ذكر مشايخ المذهب» فى ترجمة الإمام سهل الصعلوكى : «كان فيما قيل : عالما فى شخص ، مائة فى نفس ، وإمام الدنيا بالإطلاق ، وشافعى المرتضى عصره بالاتفاق» .

---

(١) أحمد بن عمر بن سريج الشافعى المتوفى سنة ٣٠٦ ، راجع ترجمته فى كتاب «تبيين كذب المفترى» لابن عساكر .
(٢) هو أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن محمد الصعلوكى الحنفى ، مفتى نيسابور . راجع ترجمته فى كتاب «تبيين كذب المفترى» .

وقد أنشد فيه بعض أهل عصره قوله :

إنا روينا عن نبى الهدى ... فى السنة الواضحة السامية
بأن لله امرأ قائما ... بالدين فى كل تناهى مائه
فعمر الخير حليف العلى ... قام به فى المائة البادية
[والشافعى المرتضى بعده ... قد أتى فى المائة الثانية][1]
وابن سريج بعده قد أتى ... فى المائة الثالثة التاليه
والشيخ سهل عمدة للورى ... فى المائة الرابعة الخاليه

وقال الحاكم أبو القاسم ابن عساكر فى كتابه المسمى «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى» : «أخبرنا الشيخ أبو المظفر أحمد بن الحسن القومسى ، أخبرنا جدى لأمى أبو الفضل محمد بن على بن أحمد السهلى ، قال : «حكى الفقيه الصالح الثقة أبو عمرو - يعنى محمد بن عبد الله الأديب الرزجاهى - قال : سمعت الأستاذ الإمام أبا سهل الصعلوكى ، أو الشيخ الإمام أبا بكر الإسماعيلى - ذكر واحدا ، الشك منى - يقول : «أعاد الله هذا الدين بعدما ذهب أكثره بأحمد بن حنبل ، وأبى الحسن الأشعرى ، وأبى نعيم الاستراباذى» .

قال ابن عساكر : «وسمعت الشيخ الإمام أبا الحسن على بن المسلم بن محمد بن على السلمى ، على كرسيه بجامع دمشق يقول - وذكر حديث أبى هريرة هذا - قال : «كان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وكان على رأس المائة الثانية الشافعى ، وكان على رأس المائة الثالثة الأشعرى ، وكان على رأس المائة الرابعة ابن الباقلانى ، وكان على رأس المائة الخامسة أمير المؤمنين المسترشد بالله»[2] .

قال ابن عساكر : «وعندى أن الذى كان على رأس الخمسمائة الإمام أبو حامد محمد ابن محمد الغزالى الطوسى ؛ فإنه كان عالما عاملاً فقيها فاضلاً أصوليًا كاملاً مصنفًا عاقلاً ، انتشر ذكره فى الآفاق ، وبرز على من عاصره بخراسان والشام والعراق» ، وقال ابن عساكر : «وذكر غير الفقيه أبى الحسن ، أن أبا العباس أحمد بن عمر بن سريج الفقيه هو الذى كان على رأس الثلاثمائة ، وأن أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكى هو الذى كان على رأس الأربعمائة» .

---

(١) هذا البيت ساقط من نسخة دار الكتب ومثبت من نسخة الخولى .
(٢) هنا ينتهى الجزء الذى حققه الأستاذ أمين الخولى من كتاب التنبئة .

به قال ابن عساكر : «وقول من قال : إنه أبو الحسن الأشعرى أصوب» ؛ لأن قيامه بنصرة السنة إلى تجديد الدين أقرب ، وهو الذى انتدب للرد على المعتزلة وسائر أصناف المبتدعة المضللة ، وحالته فى ذلك مشتهرة ، وكتبه فى الرد عليهم منتشرة . فأما أبو العباس ابن سريج فكان فقيهًا مطلعًا بعلم أصول الفقه وفروعه ، نبيها . وقول من قال : إن القاضى أبا بكر محمد بن الطيب الباقلانى هو الذى كان على رأس الأربعمائة أولى من القول الثانى ؛ لأنه أشهر من أبى الطيب الصعلوكى مكانا ، وأعلى فى رتب العلم شانا ، وذكره أكبر من أن ينكر ، وقدره أظهر من أن يستر ، وتصانيفه أشهر من أن تشهر ، وتواليفه أكثر من أن تذكر ، فأما أبو الطيب فإنما أشتهر ذكره ببلده ، وكانت رياسة أصحاب الشافعى له بنيسابور» .

«وأما أبو نعيم الاستراباذى فهو عبد الملك بن محمد بن عدى الجرجانى الفقيه» «أحد أئمة المسلمين ، ومن الحفاظ لشرائع الدين» ، «وكان ينصر السنة بجرجان» ، «مات فى حدود سنة عشرين وثلاثمائة» ، ومات «الشافعى فى رجب سنة أربع ومائتين» ، ومات الأشعرى على الأصح سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، قال ابن عساكر : «فيكون التاريخ سنة ثلاثمائة لرجوعه إلى مذهب أهل السنة ، لا للوقت الذى مات فيه» . وقال : «ومات ابن الباقلانى فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ، ومات الغزالى فى الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة» . انتهى ما ذكره ابن عساكر .

وقال الشيخ محى الدين النووى فى «تهذيب الأسماء واللغات» عقب إيراده الحديث : «حمل العلماء فى المائة الأولى على عمر بن عبد العزيز ، والثانية على الشافعى ، والثالثة على أبى العباس بان سريج» ، وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : «عندى أنه يحمل على أبى الحسن الأشعرى ، والمشهور أنه ابن سريج» رواه الحاكم أبو عبد الله ، وأنشدوا فيه شعرا .

وفى الرابعة قيل : سهل الصعلوكى ، وقيل : القاضى الباقلانى ، وقيل : أبو حامد الأسفرانى ، وفى الخامسة أبو حامد الغزالى . والله أعلم .

وقال القاضى تاج الدين بن السبكى فى «الطبقات الوسطى» فى ترجمة ابن سريج : «مات سنة ست وثلاثمائة» وقيل : سنة ثلاث وثلاثمائة ، والأول أصح ، وهو عالم تلك المائة ، على ما قاله جماعة من أهل العلم ، ومات سهل الصعلوكى سنة أربع وأربعمائة ، وقال فى ترجمة الشيخ أبى حامد أحمد بن محمد الأسفرانى : «توفى فى شوال سنة ست وأربعمائة ، وعليه تأول جماعة من العلماء حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» .

وقال فى ترجمة الشيخ تقى الدين دقيق العيد : «مات فى صفر سنة اثنتين وسبعمائة ، وهو عالم هذه المائة المبعوث ليجدد لها أمر دينها» .

وقال فى ترجمته من الطبقات الكبرى : «لم أر أحدا من مشايخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المائة السابعة المشار إليه فى الحديث ؛ فإنه أستاذ زمانه علما ودينا» .

وقال فى الطبقات الكبرى أيضا : «ورد فى بعض طرق الحديث «إن الله يبعث فى رأس كل مائة سنة رجلا من أهل بيتى يبين لهم أمر دينهم» ذكره الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وقال عقبة : «نظرت فى سنة مائة فإذا هو من آل رسول الله ﷺ ، عمر بن عبد العزيز ، ونظرت فى رأس المائة الثانية ، فإذا هو رجل من آل رسول الله ﷺ ، محمد بن إدريس الشافعى رضي الله عنه » .

وقال ابن السبكى : «ولأجل ما فى هذه الرواية من الزيادة لا أستطيع أن أتكلم فى المئتين بعد الثانية ، فإنه لم يذكر فيها أحد من أهل النبى ﷺ » قال : «ولكن هنا دقيقة ننبهك عليها فنقول : لما لم نجد بعد المائة الثانية من أهل البيت من هو بهذه المثابة ، ووجدنا جميع ما قيل إنه مبعوث فى رأس كل مائة إنما تمذهب بمذهب الشافعى ، وانقاد لقوله ؛ لعلمنا أنه الإمام المبعوث الذى استقر أمر الناس على قوله ، وبعث بعده فى رأس كل مائة من يقرر مذهبه» .

قال : «وبهذا تعين تقدم ابن سريج فى الثالثة على أبى الحسن الأشعرى ؛ فإن الأشعرى - وإن كان أيضًا شافعى المذهب - إلا أنه رجل متكلم ، كان قيامه للذب عن أصول العقائد دون فروعها ، وكان ابن سريج رجلا فقيها ، وقيامه للذب عن فروع هذا المذهب ، فكان ابن سريج أولى بهذه المنزلة ، لا سيما ووفاة الأشعرى تأخرت على رأس القرن إلى بعد العشرين» .

وأما المائة الرابعة فقد قيل : إن الشيخ أبا حامد الأسفرانى فيها ، وقيل : بل الأستاذ سهل بن أبى سهل الصعلوكى ، وكلاهما من أئمة الشافعيين ، قال : «وقد كان سهل ممن لا يدفع عن هذا المقام بوجه يتضح ؛ لمشاركته للشيخ أبى حامد فى الفقه ، وقرب الوفاة من رأس المائة ، بخلاف الأشعرى مع ابن سريج ، مع زيادة تصوفه وتبحره فى بقية العلوم» .

وقال : «والخامس حجة الإسلام الغزالى ، والسادس الإمام فخر الدين الرازى» قال : «ويحتمل أن يكون الإمام الرافعى ، إلا أن وفاة الرافعى تأخرت إلى بعد العشرين وستمائة ،

كما تأخرت وفاة الأشعرى» قال : «ومن موت ابن سريج سنة ست وثلاثمائة ، الاختلاف فيه وفى الأشعرى ، موت الأشعرى بعد العشرين ، وكذلك موت الإمام فخر الدين الرازى سنة ست وستمائة ، والنظر فيه وفى الرافعى ، وتأخرت وفاته هكذا» .

قال : «والسابع الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد باتفاق من أدركنا من مشايخنا» . قال : «وقد ذيلت على الأبيات السابقة فقلت :

ويقال إن الأشعرى الثالث الـ ... مبعوث للدين القويم الأيد
والحق ليس بمنكر هذا ولا ... هذا فعلهما أمران فعدد
هذا لنصرة أصل دين محمد ... كنظير ذاك فى فروع محمد
وضرورة الإسلام داعية إلى ... هذا وذاك ليهتدى من يهتدي
وقضى أناس أن أحمد الأسفرا ... نى رابعهم ولا تستبعد
فكلاهما فى ذى الورى المعدود من ... حزب الإمام الشافعى محمد
والخامس الفخر الإمام محمد ... هو حجة الإسلام دون تردد
وابن الخطيب السادس المبعوث إذ ... هو للشريعة كان أى مؤيد
والرافعى كمثله لولا تأ ... خُرُ موته كالأشعرى وأحمد
والسابع ابن دقيق عيد فاستمع ... فالقوم بين محمد أو أحمد
وانظر لسر الله أن الكل من ... أصحابنا فافهم وانصف ترشد
هذا على أن المصيب أمامنا ... أجلى دليل واضح للمهتدي
يا أيها الرجل المريد نجاته ... دع ذا التعصب والمراء وقلد
هذا ابن عم المصطفى وسميه ... والعالم المبعوث خير مجدد
وضح الهدى بكلامه وبهديه ... يا أيها المسكين لم لا تقتدي

وأقول أولا : «إن الرواية المقيدة بقوله : «من أهل بيتى» ، فإن كانت غير معروفة السند ، فإن أحمد أوردها بغير إسناد ، ولم يوقف على إسنادها فى شئ من الكتب ، ولا الأخر الحديثية ، وكذلك لم يعرج عليها سفيان بن عيينة ، ولا أحد من أعين المجددين ، إلا أنها فى غاية الظهور من حيث المعنى ؛ فإن القائم بهذا المنصب الشريف جدير بأن يكون من أهل البيت النبوى ، وهو نظير قول من اشترط فى القطب أن يكون من أهل البيت ، إلا أن القطب من شأنه غالبًا الاختفاء وعدم الظهور ، فإذا لم يوجد فى الظاهر من أهل البيت مَنْ يصلح للاتصاف بالقطبية حمل على أنه قام بذلك رجل من أهل البيت فى الباطن ، ولا

اطلاع لنا عليه ، بل ذلك هو الغالب . أما الرجل القائم بتجديد الدين فلابد أن يكون ظاهرا ؛ حتى يتبين تجديده للناس ، ليحصل به المقصود الذى أشار إليه الحديث ، بل لا يكتفى بظهور أمره فى بلد واحد ، ولا قطر واحد ، حتى يصير علمه فى الآفاق ، وينشر فى الأقطار ؛ ليكون تجديده للدين عاما ، والانتفاع بعلمه واقعا فى أقطار الإسلام ، على ما ستأتى الإشارة إليه ـ وحينئذ لا يمكن أن يقال فى المئات السابقة التى لم يوجد فيها من هو بهذه الصفة ، وهو من أهل البيت : لعل رجلا من أهل البيت قام بذلك فى الباطن ، ولم يعرف ؛ لأن ذلك غير مقصود الحديث .

والحاصل أن الأوجه من حيث المعنى ، أن المناصب الثلاثة لا يقوم بها إلا رجل من أهل البيت : منصب الخلافة الظاهرة ، وهو القيام بأمر الأمة ورعايتها وسياستها ، وإجراء الأحكام الشرعية عليها ، وقتال أعداء الدين ، والطائفة المارقين ، وغير ذلك مما هو من وظائف الإمام الأعظم .

ومنصب الخلافة الباطنة ، وهى القطبية ، ومنصب تجديد الدين على رأس كل مائة ، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بذلك فى منصب الخلافة ، ولم يرد فى القطبية شىء ، إلا أن طائفة من الصوفية – باشتراط ذلك فى القائم بها – قد أورد فى منصب التجديد هذه الرواية المنقطعة التى لا يعرف لها إسناد .

لكن يبقى النظر [فى] تحرير المراد بأهل البيت ، فإن أراد ﷺ بقوله : رجلا من أهل بيتى ، أى من قريش ، كما هو المراد فى الخلافة الظاهرة ، اتسع الأمر وسهل ؛ فإن دائرة نسب قريش أوسع من دائرة نسب بنى هاشم والمطلب ، فحينئذ لا يعدم واحد من المذكورين أن يكون قرشيا ، وإن كنا لا نعرف اتصال نسبه إلى قريش ، وقد عرف ذلك يقينا فى الإمام فخر الدين الرازى ، فإنه بكرى من ذرية أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد يكون أراد بذلك ما هو أعم من كونه من أهل البيت ، بالنسب أو بالولاء ، فقد صح الحديث أن مولى القوم من أنفسهم ، وقد ألحق موالى بآله ﷺ ، قال لمولىين له حبشى وقبطى : «إنما أنتما رجلان من آل محمد» رواه الطبرانى بسند حسن ، وحينئذ لا يستبعد فى المذكورين أن يكونوا من موالى أهل بيته ، فيصدق فيهم الحديث ، والرافعى من ذرية أبى رافع ، مولى رسول الله ﷺ ، كذا ذكره فى تاريخ قزوين .

ومن لطيف ما يورد هنا ـ تقوية لذلك ـ ما أخرجه ابن عساكر عن الحسن بن الحسن قال : «كان حى من الأنصار لهم دعوة سابقة عن رسول الله ﷺ ، إذا مات منهم ميت جاءت سحابة فأمطرت قبره ، فمات مولى لهم ، فقال المسلمون : لننظرن اليوم إلى قول رسول

الله ﷺ : «مولى القوم من أنفسهم» ، فلما دفن جاءت سحابة فأمطرت قبره» وإن كان المراد ما هو أخص من ذلك إلى النظر فيه .

وقد شرط بعضهم فى القطب أن يكون شريفا حسنيا ، لكن الأرجح عدم اشتراط هذا بخصوصيته ، وإنه يكفى فيه كونه من مطلق أهل البيت ، كالخلافة الظاهرة ، ويؤيد ذلك هنا قولهم فى عمر بن عبد العزيز ، إنه بهذا الوصف ، ومعلوم أنه ليس بهاشمى ولا مطلبى ، وإنما هو أموى ، وبنو أمية ليسوا من الآل ـ على مذهب الشافعى رضي الله عنه ـ وإنما هم من قريش ، الذى هو النسب الأعم ، وهم من ذرية عبد شمس ، وعبد شمس هو أخو هاشم والمطلب ونوفل ، والأربعة أولاد عبد مناف ، وقد سوى النبى ﷺ بين أولاد هاشم والمطلب ؛ حيث أعطاهم سهم ذوى القربى ، وحرم عليهم الصدقة ، فعدوا من الآل ، ولم يجر أولاد عبد شمس ونوفل مجراهم ، فلم يعدوا من الآل ، فعد عمر بن عبد العزيز هنا من أهل البيت ، باعتبار عموم القرابة وبنوة العم .

ثم إن ما ذكره ابن السبكى من التأويل ينبو عنه لفظ الحديث بلا شك ؛ فإن لفظه صريح فى أن المبعوث ـ نفسه ـ رجل من أهل البيت ، فكيف يكتفى فى ذلك بكونه من غيرهم ؟ وهو يتمذهب بمذهب من هو من أهل البيت ! هذا بعيد جدا ، والصادق المصدوق خبره لا يخلف ، فلابد من أحد أمور :

– إما عدم اعتبار هذا القيد ؛ لعدم ثبوت هذه الرواية ، وإذا لم يعتبر ، على غالب العلماء ، حتى الحافظان المتأخران العراقى وابن الحجر ، مع إطلاعهما على إيراد أحمد لها ؛ لأنهما لم يقفا لها على سند ، ورأيا الخلق من سفيان بن عيينة فمن بعده من العلماء وحفاظ الحديث لم يعولوا عليها ، حيث عدوا من ليس من أهل البيت ، ومنهم الحاكم ، والبيهقى ، والخطيب ، وابن عساكر ، وهم أئمة حفاظ ، فلو رأوا هذه الزيادة ثابتة لم يستجيزوا عد من عدوه .

– وإما حمل الحديث على عموم قريش كما تقدم .

– وإما حمله على ما هو أعم ، من كونه من أهل البيت بالنسب أو بالولاء ، كما تقدم أيضا .

– وإما أن يقال : لا يشترط فى ذلك كونه من جهة الأب ، بل يكفى كونه من جهة الأم ، وذلك شائع عندهم كثيرا ، وإن لم يثبت به النسب ، ففرق بين النسب والأهلية ، وهذا المحمل الأخير هو الصحيح ـ بل الصواب ـ لأن إمامنا وأصحابنا صرحوا بذلك فى باب الوقف والوصية .

قال فى : «الشامل» ما نصه : «فرع . قال فى «البويطى» إذا قال : وقفت هذا على أهل بيتى ، وأهل بيته أقاربه من قبل الرجال والنساء» . فهذا لفظة ، وهو نص صريح فى المقصود ، وكذا ذكره الدارمى فى «الاستدراك» وابن كج[1] فى «التجريد فى الوصية» ، وفى «النهاية» و «الشرح» ، و «الروضة» فى الوصية نحو ذلك ، فإنهم حكموا فيما لو أوصى لأهل بيت الرجل وجهين :

أحدهما : أنه كالوصية للقرابة ، والمصحح فى «الشرح» ، و «الروضة» أنه يدخل فيها القرابة من جهة الرجال والنساء .

والثانى : أنه يدخل فيهم الزوجات أيضا ، وهذا هو الذى صححاه .

فالحاصل من تصحيح الشيخين أنه يدخل فى لفظ أهل البيت القرابات مطلقا ، من قبل الرجال والنساء ، وزيادة على ذلك الزوجات .

ومنشأ ذلك اختلاف السلف فى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[2] فقال زيد بن أرقم : «أهل بيته آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، وليس نساؤه من أهل بيته» .

وقال ابن عباس وعكرمة : «نساؤه من أهل بيته» . وقال الزركشى فى «الخادم» : ينبغى أن يدخل فى أهل البيت العتيق . فى الحديث «سلمان منا أهل البيت» ، وقال ابن أبى الرفعة فى «الكفاية» : «إذا وقف على أهل بيته صرف إلى قرابته ، من جهة الرجال والنساء» حكاه فى «الشامل» عن البويطى ، وفى «الحاوى» حكاية ثلاثة أوجه :

أحدها : تصرف إلى من ناسبه إلى الجد .

والثانى : من اجتمع معه فى الرحم .

والثالث : إلى كل من اتصل إليه بنسب ، قال ﷺ : «سلمان منا أهل البيت» . انتهى .

قلت : وفى الحديث : «أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ» قال : يا رسول الله ، أمن أهل البيت أنا ؟ قال : نعم» .

فنلحظ من جميع ما تقدم أن أهل البيت لا يختص لمن يثبت لهم نسب النبوة ونحوها ، بل يشمل أولاد البنات . ونظيره قول الفقهاء : لو وقف على أولاده وأولاد أولاده

---

(١) هو أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز بن كج البصرى ، كان ثقة عالمًا بالحديث توفى ببغداد سـ٢٩٢ـنة هـ (طبقات الحفاظ للسيوطى) .

(٢) الأحزاب ٣٣ .

وذريته ونسله وعقبة دخل أولاد البنات ، وإن لم ينسبوا إليه ، وفى التنزيل : ﴿ومن ذريته داود﴾ إلى قوله : ﴿وعيسى﴾ ، ومعلوم أن عيسى ابن بنت .

وفى الحديث : «ابن أخت القوم منهم» رواه الطبرانى من حديث جبير بن مطعم بسند صحيح ، رواه البزار ، «كان» من حديث أبى هريرة وعائشة بسند حسن ، وروى الطبرانى ، عن عقبة بن غزوان ، أن رسول الله ﷺ قال يوما لقريش : «هل فيكم من ليس منكم ؟ قالوا : ابن اختنا عقبة بن غزوان ، قال : ابن أخت القوم منهم» .

وروى ابن سعد فى الطبقات عن عبد الله بن دينار قال : قال ابن عمر : إنا كنا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضى حتى يلى هذه الأمة رجل من ولد عمر ، يسير فيها بسيرة عمر ، بوجهه شامة ، قال : فكنا نقول : هو بلال بن عبد الله بن عمر ، وكانت بوجهه شامة ، قال : حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وأخرج ابن سعد عن نافع قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «ليت شعرى من ذو الشين من ولدى الذى يملؤها عدلا كما ملئت جورا» .

إذا تقرر ذلك فلا يبعد أن يكون المذكورين أم أحدهم ، أو أم أبيه ، أو أم أمه ، أو أم جده ، أو أم جدته فما فوق من أهل البيت ، إما علوية أو جعفرية ، أو عقيلية ، أو عباسية ، أو مطلبية ، أو نحو ذلك ، فحيثما كان فى أصوله أم ولدته ، أو ولدت أحدا من أصوله ، وهى من أهل البيت ، صدق عليه أنه من أهل البيت بلا شك ، على ما هو صريح نص الشافعى والأصحاب ، وبهذا يتسع المجال جدا ؛ فإن ذلك فى أمهات الناس كثير ، وهو أحسن من التأويل الذى قاله ابن السبكى ، فإن فى هذا إبقاء الحديث على ظاهرة ، واللفظ على مدلوله وموضوعه .

والحاصل أن «لآل البيت» إطلاقات :

- **أخصها** : بانصرافه إلى بنى هاشم والمطلب ، وهم الآن الذين تحرم عليهم الزكاة بالأصالة .

- **والثانى** : شموله لأزواجه صلى الله عليه وسلم أيضا ، وهم أعم من الآل .

- **والثالث** : شموله لمطلق الذرية ، وإن لم يثبت لهم النسب ، كأولاد البنات وإن سفلن ، ولمطلق القرابة ، سواء كانت من قبل الرجال أم من قبل النساء ، وهذا أعم من الأولين .

- **الرابع** : شموله للموالى أيضا ، وهم أعم من الثلاثة ، وهذان الأخيران تخرج عليهما

هذه الرواية التى نحن فى تقريرها .

ويؤيد ما ذكرنا من أن لأهل البيت إطلاقات ، أنه ورد عن زيد بن أرقم أنه قال : نساؤه من أهل بيته ، وسئل مرة أخرى : من أهل بيته ؟ أنساؤه ؟ قال : لا .

والروايتان فى مسلم ، فدل على أن لأهل البيت إطلاقات يحمل فى كل مورد على ما يناسبه .

ثم رأيت البيهقى أشار إلى ما ذكرته من أن لأهل البيت إطلاقات ، تارة يراد بها آله ، وأورد فيه حديث زيد بن أرقم : «أذكركم الله فى أهل بيتى» قال حصين : يا زيد ، من أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : بلى ، إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته الذين ذكرهم من حرموا الصدقة ، وهم آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس» . أخرجه مسلم ثم قال : باب الدليل على أن أزواجه ﷺ من أهل بيته فى الصلاة عليهم ، وأورد فيه حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى ، إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبى وأزواجه وذريته وأهل بيته ، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد» أخرجه أبو داود .

قال البيهقى : فكأنه صلى الله عليه وسلم أفرد أزواجه وذريته بالذكر على وجه التأكيد ، ثم رجع إلى التعميم ليدخل فيها غير الأزواج ، فالذرية من أهل بيته ، قال : وأشار الحليمى إلى أن اسم أهل البيت للأزواج تحقيق ، والاسم الأول لهن تشبيه بالنسب .

قلت : وهذا تصريح أن أهل البيت أعم من الآل ، والحديث المذكور صحيح فى أن مطلق الذرية يطلق عليهم أهل البيت ، فشمل كل ولد من نسله ، سواء نسب إليه ـ كأولاد البنين ـ أم لا ـ كأولاد البنات ـ كما هو مدلول لفظ الذرية ، وتقدم تصريح الفقهاء رضوان الله عليهم أجمعين به فى الوقف ، فتعين ما قلناه فى تقرير هذه الرواية . والله أعلم .

وممن يصلح أن يعد على رأس الثلاثمائة الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وعجيب كيف لم يعدوه ، وهو أجل من ابن سريج وأوسع علوما ، وبلغ رتبة الاجتهاد المطلق المستقل ، ودون لنفسه مذهبا مستقلا ، وله اتباع قلدوه ، وأفتوا وقضوا بمذهبه ، يسمون الجريرية ، وكان إماما فى كل علم ؛ من القرآن ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، وأقوال الصحابة ، والتابعين ومن بعدهم ، والعربية ، والتاريخ .

قال النووى : أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسيره ، قال الخطيب : كان أئمة العلماء تحكم بقوله ، وترجع إليه ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل

عصره . قال ابن خزيمة : ما أعلم على وجه الأرض أعلم من ابن جرير ، وقد أراد الخليفة المقتدر بالله مرة أن يكتب كتاب وقف تكون شروطه متفقا عليها بين العلماء فقيل له : لا يقدر على استحضار هذا إلا محمد بن جرير ، فطلب منه ذلك فكتبها ، مات فى شوال سنة عشر وثلاثمائة .

وقال الشيخ عفيف الدين اليافعى فى «الإرشاد» : «وقد قال جماعة من العلماء ـ منهم الحافظ ابن عساكر فى الحديث الوارد عن النبى ﷺ ـ «إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة» . أنه كان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى رأس الثانية الإمام الشافعى ، وعلى رأس الثالثة الإمام أبو الحسن الأشعرى ، وعلى رأس الرابعة أبو بكر الباقلانى ، وعلى رأس الخامسة الإمام أبو حامد الغزالى ؛ وذلك لتميزه بكثرة المصنفات البديعات ، وغوصه فى بحار العلوم ، والجمع بين علوم الشريعة والحقيقة ، والفروع والأصول ، والمعقول والمنقول ، والتدقيق والتحقيق ، والعلم والعمل ، حتى قال بعض العلماء الجامعين بين علم الباطن والظاهر : لو كان بعد النبى ﷺ نبى لكان الغزالى ، فإنه يحصل ثبوت معجزاته ببعض مصنفاته» . انتهى .

وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى فى كتابه : «روض الرياحين» : «قال الشيخ العارف بالله أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه : رأيت النبى ﷺ فى المنام يباهى موسى وعيسى بالإمام الغزالى رضي الله عنه ، وقال : أفى أمتكم خير مثل هذا ؟ قالا : لا» . انتهى .

وقد ادعى الغزالى ـ نفسه ـ أنه المبعوث على رأس المائة الخامسة ، وقال فى كتابه : «المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال» القول فى سبب معاودة نشر العلم بعد الإعراض عنه .

وذلك أنى رأيت أصناف الخلق قد ضعف إيمانهم ، ورأيت نفسى مليا بكشف الشبه ، حتى كان إفحام هؤلاء عندى أيسر من شربة ماء ؛ لكثرة خوضى فى العلوم ، وانقدح فى نفسى أن ذلك متعين فى هذا الوقت محتوم ، فما تغنيك الخلوة والعزلة ، وقد عم الداء ومرض الأطباء ، واشرف الخلق على الهلاك .

ثم قلت فى نفسى : ومتى تستقل أنت بكشف هذه الغمة ، ولو اشتغلت بدعوة الخلق عن طرقهم إلى الحق لعاداك أهل الزمان بأجمعهم ، وأنَّى تقاومهم ؟ وكيف تعايشهم ؟ ولا يتم ذلك إلا بزمان وسلطان متدين قاهر ، فرخصت بينى وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة ، تعللاً بالعزلة عن إظهار الحق بالحجة ، فقدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن حرك داعية

سلطان الوقت ـ فى نفسه ، لا بتحريك من خارج[١] ، فأمر بالرأى بذلك ، فخطر لى أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغى أن يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة ، وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص نفسك بعسر معاناة الخلق ؟ .

والله تعالى يقول : ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٢] الآية ، ويقول عز وجل لرسوله ، وهو الذى أعز خلقه : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ويقول عز وجل : ﴿يسٓ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ ، فشاورت فى ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات .

واتفقوا على الإشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية ، فانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرها الله سبحانه وتعالى على رأس هذه المائة ،وقد وعد الله بإحياء دينه على رأس كل مائة ، فاستحكم الرجاء ، وغلب حسن الظن ، بسبب هذه الشهادات ، ويسر الله تعالى الحركة للقيام بهذا المهم ، فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين[٣] وبلغت هذه العزلة إحدى عشرة سنة ، وهذه حركة قدرها الله ، وهى من عجائب تقديراته» انتهى كلام الغزالى بلفظه .

وقال الحافظ زين الدين أبو الفصل عبد الرحيم بن الحسين العراقى ، فى الترجمة التى عملها للشيخ جمال الدين الأسنوى : «قد بلغنى أن بعض العلماء جعل فى المائة السادسة الشيخ محى الدين النووى ، وفى المائة الخامسة قبلها أبا طاهر السفلى ، وفى المائة الرابعة قبلها الشيخ أبا إسحاق الشيرازى» ، وكل من المذكورين قد مات سنة ست وسبعين من المائة التى توفى فيها .

فإن كان ما ذكره من ذلك صحيحا فالظاهر أن صاحب هذه الترجمة – يعنى الإسنوى – هو نظيرهم من هذه المائة ، فيكون هو المراد بالعالم الذى يجدد للناس دينهم .

قال : «وذلك وإن كان محتملا ففيه نظر ؛ لأن الحديث فيه «على رأس كل مائة سنة» ، ولذلك جعل الإمام أحمد أن المراد فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وفى الثانية الشافعى» .

---

(١) في كتاب «المنقذ من الضلال» : «فأمر أمر إلزام بالنهوض إلى نيسابور لتدارك هذه الفترة ، وبلغ الإلزام حدًا كاد ينتهى لو أصررت على الخلاف إلى حد الوحشة فخطر لى . . .» .

(٢) العنكبوت ، آيات : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) فى كتاب المنقذ من الضلال «سنة تسع وتسعين وأربعمائة» .

قال : «فإن قيل الظاهر من الحديث أنه أراد الأئمة الذين هم ولاة الأمور ، ولذلك أدخله أبو داود فى كتاب الملاحم ، قلنا : قد جاء فى كلام الإمام أحمد أن المراد من «يعلمهم السنن» عن الدمشقى ، حدثنا أبو سعيد الفريابى قال : قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : «إن الله يقيض للناس على رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب . فنظرنا فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفى رأس المائتين الشافعى» . انتهى .

قلت : ومما دلك من تجديد عمر بن عبد العزيز للدين أنه الذى أمر بتدوين الحديث النبوى وجمعه بالكتابة فى الأوراق ؛ خوف اندثاره .

قال مالك فى «الموطأ» رواية محمد بن الحسن : «أخبرنا يحى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنته أو حديث عمر أو نحو هذا فاكتبه لى ؛ فإنى قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء» .

وأخرج أبو نعيم فى «تاريخ أصبهان» عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كتب إلى الآفاق : انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه ، وعلقه البخارى فى صحيحه ، قال الحافظ ابن حجر فى شرحه : «يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوى» .

وقال الهروى فى ذم الكلام : لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث ، وإنما كانوا يؤدونها لفظا ، ويأخذونها حفظا ، إلا كتاب الصدقات والشىء اليسير الذى يعض عليه الباحث بعد الاستقصاء ، حتى خيف عليه الدروس ، وأسرع فى العلماء الموت ، أمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أبا بكر الحزمى فيما كتب إليه أن انظر ما كان فى سنة أو حديث عمر فاكتبه ، ثم أخرجه من طريق عبيد الله بن عمر .

وعن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار فذكره .

ثم قال الحافظ زين الدين العراقى وقد نظمت مذيلا على التى أوردها الحاكم فأوردت الثلاثة الباقين على رأس كل مائة إلى زماننا هذا بقولى :

والخامس الطوسى أعنى حجة الـ إسلام وهو محمد بن محمد
ذاك الذى أحيا لنا إحياؤه مَيْت العمى وجلا عن القلب الصدى
والسادس الفخر الإمام المرتضى ابن الخطيب عمى عيون الحسد
ذاك الذى نصب الدلائل للهدى وأزال شبهة ذى الضلال الملحد

والسابع القشرى أبو الفتح الذى بلغ اجتهاد العلم فيضا باليد
أحيا الأنام أمامه ولقد رقى فى شرحه «الإلمام»[١] فوق الفرقد
والظن أن الثامن المهدى من ولد النبى أو المسيح المهتدي
ماذا يكون [.....] فذوا الحجا متأخر ويسود غير سود
أو ما ترى دون الأئمة ثم من يمضى فلا خلف له فى المقعد
ليس ارتفاع العلم ترعا إنما موت الأئمة رفعة وكأن قد

وقد ذكر جماعة أن الذى على رأس المائة الثامنة شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى[٢] ، ذكر ذلك ولداه قاضى القضاة جلال الدين ، وشيخنا قاضى القضاة علم الدين ، كل منهما فى الترجمة التى عملها له ، ونقلا عن الشيخ كمال الدين الزهرى وغيره أنهم ذكروا ذلك ، وذكر ذلك ـ أيضا ـ الشيخ شمس الدين بن الجزرى فى مشيخته ، وحافظ العصر قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر فى القصيدة التى رثاه بها فقال :

فى القرن الأول والقرن الأخير معا أحيا لنا العمران الدين عن قدر
لكن أضاء سراج الدين منفردا وذاك مشترك مع سبعة زهر

وأشار إليه الحافظ زين الدين العراقى بقوله فى قصيدة :

والله يبقى شيخ إسلامنا غنى عن الماضين للتجدد
حل فى دورته ما أعضلت من المسائل الصعاب العقد
يقعد للإفتاء بعد عصره إلى غروبها بخير مقعد

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير فى كتاب «البداية والنهاية» : «وقد ورد الحديث عن طريق أبى داود ، وقد ذكر كل من العلماء فى رأس كل مائة سنة عالما من علمائهم ينزلون هذا الحديث عليه ، وقال طائفة من العلماء : بل الصحيح أن الحديث يشمل أكثر من واحد ممن يقوم بفرض الكفاية فى الأقطار» .

وقال ابن الأثير : «اختلفت العلماء فى تأويل هذا الحديث كل واحد فى زمانه ، وقد أشاروا إلى القائم الذى يجدد للناس دينهم على رأس كل مائة سنة ، وكان كل قائل قد مال إلى مذهب وحمل تأويل الحديث عليه» .

---

(١) يقصد هنا أبو الفتح تقى الدين محمد بن علي بن وهب القشيرى ، المعروف بابن دقيق العيد المتوفى فى سـ٧٠٢ـنة هـ ، وكتابه المشار إليه هو «الإلمام الجامع أحاديث الأحكام» . راجع طبقات الحفاظ للسيوطى ٥١٣ - الطالع السعيد ٥٦٧ .

(٢) أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير الشافعى ، مات سـ٨٠٥ـنة هـ . بركلمان ٢٧٠/١ ، طبقات الحفاظ للسيوطى ٥٣٨ .

وذهب بعض العلماء إلى أن الأولى أن يحمل الحديث على العموم ، فإن قوله عليه الصلاة والسلام : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا واحدا بل قد يكون واحدا وقد يكون أكثر ؛ فإن انتفاع الأمة بالفقهاء وإن كان انتفاعا عاملا فى أمور الدين فإن انتفاعهم بغيرهم ـ أيضا ـ كثير ، مثل أولى الأمور ، وأصحاب الحديث ، والقراء ، والوعاظ ، وأصحاب الطبقات من الزهاد ينفعون بفن لا ينفع به الآخر ، إذ الأصل فى حفظ الدين قانون السياسة ، وبث العدل ، والتناصف الذى به يحقن الدماء ويتمكن عن إقامة قوانين الشرع ، وهذه وظيفة أولى الأمر ، وكذلك أصحاب الحديث ينفعون بضبط الأحاديث التى هى أدلة الشرع ، والقراء ينفعون بحفظ القرآن وضبط الروايات ، والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد فى الدنيا .

فكل واحد ينفع بغير ما ينفع الأخر ، فالأحسن والأجمد أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة يجددون للناس دينهم ، ويحفظونه عليهم فى أقطار الأرض .

وكان على رأس المائة الأولى : من أولى الأمر عمر بن عبد العزيز ، ويكفى الأمة عن هذه المائة وجوده خاصة ، فإنه فعل فى الإسلام ما ليس بخاف ، وكان من الفقهاء بالمدينة محمد بن على الباقر ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وأبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر[1] وكان بمكة منهم مجاهد بن حيدر ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء ابن أبى رباح ، وكان باليمن طاووس ، وبالشام مكحول ، وبالكوفة عامر بن شراحيل الشعبى ، وبالبصرة الحسن البصرى ، ومحمد بن سيرين .

وأما القراء على رأس المائة الأولى ، فكان القائم بها عبد الله بن كثير ، وأما المحدثون فمحمد بن شهاب الزهرى ، وجماعة كثيرون مشهورون من التابعين وتابع التابعين .

وأما من كان على رأس المائة الثانية : فمن أولى الأمر المأمون بن الرشيد ، ومن الفقهاء الشافعى ، والحسن بن زياد اللؤلؤى من أصحاب أبى حنيفة ، وشهاب بن عبد العزيز من أصحاب مالك ، وأما أحمد بن حنبل رضي الله عنه فلم يكن يومئذ مشهورا ، فإنه مات سنة إحدى وأربعين ومائة ، ومن الإمامية على بن موسى الرضا ، ومن القراء يعقوب الحضرمى ، ومن المحدثين يحى بن معين ، ومن الزهاد معروف الكرخى .

---

(١) فى مخطوطة دار الكتب «سالم بن مر بن عبد الله بن عمر» ، لكن صحة الاسم كما أثبتناه من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد .

وأما من كان على رأس المائة الثالثة : فمن أولى الأمر المقتدر بالله ، ومن الفقهاء أبو العباس بن سريج من أصحاب الشافعى ، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى من أصحاب أبى حنيفة ، وأناس من أصحاب مالك ، ومن المحدثين النسائى .

وأما من كان على رأس المائة الرابعة : فمن أولى الأمر القادر بالله ، ومن الفقهاء أبوحامد الأسفرانى من أصحاب الشافعى ، وأبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى من أصحاب أبى حنيفة ، وأبو محمد عبد الوهاب من أصحاب مالك ، وأبو عبد الله الحسين من أصحاب أحمد ، وغيرهم من الأئمة .

وأما من كان على رأس المائة الخامسة : فمن أولى الأمر المستظهر بالله ، ومن الفقهاء الأمام أبو حامد الغزالى من أصحاب الشافعى ، والقاضى فخر الدين محمد بن على الأرسانيدى المروزى من أصحاب أبى حنيفة ، وأبو الحسن على بن عبد الله الزاعونى من أصحاب أحمد .

هؤلاء كانوا من المشهورين فى هذه الأزمنة المذكورة .

قال : لكن الذى ينبغى أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا مشهورا معروفا مشارا إليه فى كل فن من هذه الفنون ، فإذا حمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى وأشبه بالحكمة .

قال : وقد كان قبل كل مائة ـ أيضا ـ من يقوم بأمور الدين ، وإنما المراد بالذكر من انقضت المائة وهو حى عالم مشهور مشار إليه» . انتهى كلام ابن الأثير .

وقال الحافظ ابن حجر فى «مناقب الشافعى» : «حمل بعض الأئمة «مَنْ» فى الحديث على أكثر من الواحد ، وهو ممكن بالنسبة لرواية «من» ، لكن الرواية التى بلفظ «رجل» أصرح فى إرادة الواحد ، من الرواية التى جاءت بلفظه «مَنْ» لصلاحية «مَنْ» للواحد فما فوقه .

قال : ولكن الذى يتبين فى «مَنْ» بآخر الجمل على أكثر من الواحد ؛ لأن فى الحديث إشارة إلى أن المجدد المذكور يكون تجديده عاما فى جميع أهل ذلك العصر ، وهذا يكون فى حق عمر بن عبد العزيز جليا ، ثم فى حق الشافعى ، أما من جاء بعد ذلك فلا يقدم من يشاركه فى ذلك .

قال : «ولعل الله أن يفسح فى المهلة أن يسهل لى جمع ذلك مفردا ؛ أبين فيه من يصلح أن يتصف بذلك فى رأس المائة الثالثة ، وكذا ما بعدها إن شاء الله تعالى» . انتهى

قلت : وقد رأيت فهرست تصانيفه ، فيه جمع حول الكتاب المذكور ، وسماه «الفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة» ، ولم أقف عليه إلى الآن مع شدة طلبى له .

وقال الإمام بدر الدين الأهذل فى «الرسالة المرضية فى بصيرة مذهب الأشعرية» ما نصه : «أما تعيين من يجدد الدين على رأس كل مائة سنة فقد عين أحمد بن حنبل على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى رأس المائة الثانية الشافعى ، وكان على رأس المائة الثالثة أبو العباس بن سريج - على المشهور - وقيل أبو الحسن الأشعرى ، ورجحه الحافظ أبو القاسم بن عساكر ، وتبعه اليافعى وغيره من المحققين ، وكان قد رجع عن مذهب المعتزلة وأقر مذهب أهل السنة على رأس المائة الثالثة ، إلى أن توفى سنة أربع وعشرين» .

وعلى رأس المائة الرابعة قيل : سهل بن محمد الصعلوكى النيسابورى ، وقيل : أبو حامد الأسفرانى ، وقيل : القاضى أبو بكر الباقلانى ، ورجحه ابن عساكر وغيره .

وعلى رأس المائة الخامسة حجة الإسلام الغزالى ، لا أعلم فيه خلافا ، وعلى رأس المائة السادسة الإمام فخر الدين الرازى ، وعلى رأس المائة السابعة الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ، وعلى رأس المائة الثامنة قيل : سراج الدين البلقينى ، وقيل : الإمام ناصر الدين ابن بنت الميلق الشاذلى[1] ؛ لكثرة تصانيفه فى علوم الدين ، ورده على المبتدعين ، خصوصا على الحلولية والاتحادية ، والأول عليه جماعة من فقهاء مصر ، منهم الشيخ شمس الدين الجزرى ، جزم به فى مشيخته وأثنى عليه كثيرا ، والثانى عليه جماعة من الصوفية .

وذلك مدخول لا يصح ؛ لأن الشيخ ناصر الدين توفى قبل رأس المائة ، فإنه مات سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، ووفاة البلقينى سنة خمس وثمانمائة .

ويحتمل أنه الشيخ زين الدين العراقى ، وكان حافظ عصره فى الحديث ، مع الديانة والإمامة والتصانيف النافعة ، وكانت وفاته سنة ست وثمانمائة ، ويحتمل كلهم ، فإن المجدد قد يكون واحدا أو أكثر .

قال : وأعلم أن تعيينى المجدد إنما هو لغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه ، ولا يكون المجدد إلا عالما بالعلوم الدينية الظاهرة ، ناصرا للسنة ، قامعا للبدعة ، ثم قد يكون واحدا فى العالم كله ، كعمر بن عبد العزيز ؛ لانفراده بالخلافة ،

---

(١) و ناصر الدين محمد بن عبد الدايم ولد سـ٧٣١ـنة ، وتوفى سـ٧٩٧ـنة هـ . بركلمان ٤٩٣/١٠ ، الدرر الكامنة ٤٩٤/٣ ، شذرات الذهب ٣٥١/٦ .

وكالإمام الشافعى ؛ لإجماع المحققين على أنه أعلم أهل زمانه ، وقد يكون اثنين ، وجماعة ، إن لم يحصل الإجماع على واحد بعينه .

قال : ثم قد يكون فى أثناء المائة من هو أفضل من المجدد على رأسها ، كذا رأيته لبعض المتأخرين ، وإنما كان التجديد على رأس كل مائة لإنخرام علماء المائة غالبا ، واندراس السنن ، وظهور البدع ، فيحتاج حينئذ إلى تجديد الدين ، فيأتى الله من الخلف بعوض من السلف ، وعلى هذا المعنى تنزل : «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ما أقاموا الدين لا يضرهم من خذلهم» . الحديث

ولما عين الإمام أحمد فى المائتين الأوليين عمر بن عبد العزيز والشافعى ـ تجاسر من بعده على تعيين من ذكرناه ، وإنما عين من ذكر على رأس كل مائة بالظن ممن عاصره ، وحصول الانتفاع به وبأصحابه وبمصنفاته ، ثم ذكر الأبيات التى تقدمت للعراقي .

وقال : ما ذكره مِنْ أن على رأس المائة الثامنة المهدى أو عيسى بن مريم لاقتراب الساعة لم يصح ، فنحن الآن فى سنة ثلاثين وثمانمائة ، ولم يقع شئ من ذلك ، قال : ويحتمل أن به يبقى تاسع على رأس المائة التاسعة التى نحن فيها ، ويكون المهدى أو عيسى بن مريم فى المائة العاشرة ، عند تمام الدور والعدد العربى ، والله أعلم» . انتهى ما نقلته من هذا المؤلف .

قلت : وما ذكره من أنه يحتمل أن يبقى تاسع على رأس المائة التاسعة قد صح ، نحن الآن فى سنة تسع وتسعين وثمانمائة ، ولم يجئ عيسى ، ولا المهدى الجائى قبل عيسى بسبع سنين ، والأشراط الواقعة قبل المهدى وما أشار إليه من الترديد بين المهدى وعيسى فى آخر القرون ـ يقطع فيه بأن الذى فى آخر القرون عيسى بلا شك ؛ وذلك لأنه قد ورد أن الدجال يخرج عند رأس مائة ، فينزل عيسى فيقتله ، فيكون المهدى قد تقدم له قبل ذلك بسبع سنين فى الخلافة ، وذلك قبل انتهاء المائة ، فإذا خرج الدجال فى أيامه ونزل عيسى سلم المهدى إليه الأمر فيمكث فى الأرض سبع سنين ويموت ، وقد تقدم أنه يشترط فى المجدد أن يتأخر عن رأس المائة ، والمهدى ينقض حكمه قبل تمام المائة ، وينتقل الحكم إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ، فتعين أن يكون هو المجدد مع ما أشير إليه فى حديث «أن يهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم أخرها» نعم ، إن بنينا على أن المجدد يكون أكثر من واحد ، جاز أن يقال : إن المهدى وعيسى معا كلاهما يجددان فى آخر مائة من هذه الأمة ، وينبغى أيضا الترديد ، والله أعلم» .

ثم رأيت القرطبى قال فى التذكرة : «إن عيسى عليه السلام ينزل مقرًا لهذه الشريفة مجددا

لها» ، وقال فى موضع آخر : «إنه ينزل مجددا لما درس من دين الإسلام» .

وهذا التصريح بأن المجدد على آخر المئتين هو عيسى دون المهدى ، أعجب به رجل فى تأليف لى هذا الحديث ، ولم يكن طرق سمعه قبل ذلك ، فأخذ يتعجب ، يقول : التجديد لا يكون إلا بعد اندراس ، وما المراد من مائة سنة ؟ أمن تاريخ ولادتك ، أم من تاريخ نشأتك ، أم من تاريخ أهليتك للاجتهاد ؟ ومن نسب إلى ذلك من العلماء ؟ وهذا الكلام عبارة عن منازعة فى لفظ النبوة ، وإن كان قصده بذلك الطعن فى حديث الصادق المصدوق فقد كفر .

فقد أخبرنى الثقة عن رجل من أهل العلم أنه لقيه فقال له : قولكم فى الأحاديث هذا حديث صحيح وهذا حديث ضعيف ، من أين لكم هذا الحكم ؟ فانظر إلى من بلغ به الجهل هذا المبلغ وأنى يبرأ من الطعن ، وزعم أنه قصد التفهم ، لا ، لم يصل إلى فهمه ، فحقه أن يسعى إلى شيخ من أهل العلم بالحديث ومعانيه ، ويحبو على ركبتيه بين يديه ، ويقول : أفدنى يرحمك الله ، فإن رآه الشيخ أهلا أفاده ، وإن لم يره أهلا للخطاب ، ولا مَنّ عليه بالجواب لزم الباب .

إذا مـــر ذكـــراكم خـــاطرى فـرشت خـدودى مكان التـراب
فـــأقـــعـــد فى الذل فى بابكم قـعـود الأسـارى لضـرب الرقـاب

فعسى أن يعطفه الله عليه ، فيسمح له بإبانة الصواب .

وقد قدمنا من كلام العلماء ما يفهم منه معنى التجديد ، وقلت للناس : المراد من رأس كل مائه ما يؤرخ بها فى مدة الملة ، فبلغه ، فقال : التاريخ إنما وقع بعد موت النبى ﷺ .

لم يكن عالما - وهذا منه على نمط ما تقدم ـ فهل ظن أن النبى ﷺ لم يكن عالما بما سيحدث فى أمته وبما سيقرره خلفاؤه من بعده ؟ إن هذا لهو الضلال البعيد .

قد خطب النبى ﷺ خطبة ، فأخبر فيها بما يكون فى أمته إلى قيام الساعة ، وكان عالما بأن عمر رضي الله عنه سيضع من بعده التاريخ بالهجرة ، فما حدث أصحابه بذلك إلا وقد علموا معناه ، وإلا لسألوه عن بيان المائة وابتدائها ، وقد ورد أن عثمان رضي الله عنه لما كتب المصاحف فروى له أبو هريرة أنه سمع النبى ﷺ يقول : «إن أشد أمتى حبا لى قوم من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى ، يعملون بما فى الورق المعلق» ، قال أبو هريرة : فقلت : أى ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ، ففرح بذلك عثمان وجاء أبا هريرة بعشرة آلاف درهم ، وقال له : والله إنك لتحفظ علينا حديث نبينا .

فقد علم النبى ﷺ بالوحى ، أن عثمان يكتب فى خلافته المصاحف ، وأن عمر رضي الله عنه يضع التاريخ بالهجرة ، فحدث أصحابه بأحاديث منوطة بما علم وقوعه من بعده ، هذا لو لم يكن فى التاريخ حديث مرفوع ، كيف وقد ذكر أن ذلك وقع أصله زمن النبى ﷺ وأن عمر إنما استند فى وضع التاريخ إليه ، وقد بسطته فى مؤلفى فى التاريخ .

وهذا الرجل ليس فى عداد من يُرَدُّ عليه ، وقد لامنى العقلاء على تعرضى للرد عليه ، وأصابوا فى ذلك ، غير أنى غلبت جانب العلم وبيان الحق على حقى ، واقتديت بالعلماء قبلى ؛ فإنهم حكوا فى تصانيفهم مقالات كل ساقط ومرذول وبمبدع به وملحد ، وردوها ؛ حرصا على بيان الحق الذى أقامهم الله فيه ، وحجتهم فى ذلك : أن الله ـ جل جلاله ـ حكى فى كتابه العزيز مقالات المعتدين من بنى إسرائيل وغيرهم ، وردوها لأجل بيان الحق وإرشاد المهتدين ، ولم يترك ذلك لسقطاتهم ، فاقتدى العلماء بذلك وجعلوه حجة لهم فيما صنفوه .

وإنما حمل هذا الرجل على ذلك أنه فهم عنى أنى ترجيت من نعم الله وفضله كما ترجى الغزالى لنفسه أنى المبعوث على رأس هذه المائة التاسعة ؛ لانفرادى عليها بالتبحر فى أنواع العلوم ، من التفسير وأصوله ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، واللغة وأصولها ، والنحو والتصريف وأصولهما ، والجدل ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ، والتاريخ ، وتصنيفى فى جميع تلك المصنفات البارعة الفائقة ، التى لم أُسبق إلى نظيرها ، وعدتها إلى الآن نحو خمسمائة مؤلف ، وقد اخترعت علم أصول اللغة العربية ، ولم أسبق إليه ، وهو على نمط علم الحديث وعلم أصول الفقه ، وسارت مصنفاتى وعلومى فى سائر الأقطار ، ووصلت إلى الشام ، والروم ، والعجم ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، والحبشة ، والمغرب ، والتكرور ، وامتدت من التكرور إلى البحر المحيط ، ولا مشارك فى جميع ما ذكرته ، ولا اجتمع لأحد من الموجودين الآن مجموع العلوم التى اجتمعت لى ، ولا وصل الآن أحد إلى رتبة الاجتهاد المطلق غيرى فيما أعلم .

وأما على اعتبار رواية «من أهل بيتى» فهو حاصل على ما تقدم تقريره ، غير أنى أبدأ بالإحالة على التأويل الذى ذكره ابن السبكى ، وأثنى بالتقرير الذى قررته من اعتبار مطلق الولادة ، فإن جدة والدى كانت أمة شريفة بيقين ، وكان أقاربها الأشراف يردون علينا إلى آخر وقت ، وهنا اقتصر ولا أتعدى ، وكان بعض أقاربى يدعى أنا جعفريون ، ولما أعلم له فى ذلك مستندا ، وعارضه أنى رأيت كتبا كثيرة بخط قريب لى آخر يكتب فى آخرها : «كتبه فلان الخضيرى الأنصارى السيوطى ، فى سنة ثلاثين وثمانمائة» ، ولا يمكن أن يكون

الإنسان جعفريا أنصاريا ، فإنهما أمران متباينان ، فأما أن يكون غلط والصواب مع الثانى ، فإن الثانى طالب ، فهو أقرب إلى الضبط فى الجملة ، وإما أن يكون الغلط من الثانى فى ظن أن الجعافرة النصاريين ، ولما تعارض عندى الأمران ولم أجد ما أستوضح به على الصواب ، ولا رأيت شيئا من ذلك بخط والدى اعتمده ، سكتُّ عن هذا ، وعن هذا ، فإن الجزم بالنسب صعب ، واقتصرت على القدر المتيقن .

وقد نقلت نسبة أجدادى إلى الشيخ همام الدين الخضيرى من صداق ابن عم والدى ، والمكتتب بخط جماعة من العدول المعتبرين ، الثابت على قاضى الشرع ، فوالدى هو الكمال أبو بكر أبو المناقب بن ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن سابق بن أبى بكر فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضير بن نجم الدين ، إلى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخضيري .

(فائدة) نظير هذا الحديث ما ورد «أن رأس كل مائة سنة يكون عندها أمر» ، قال ابن أبى حاتم فى تفسيره : حدثنا يحى بن عبدك القروى ، حدثنا خلف بن الوليد حديث المبارك بن فضالة ، عن على بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبى بكر ، عن العربان بن الهيثم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال : «ما كان منذ كانت الدنيا رأس كل مائة سنة إلا كان عند رأس المائة أمر» .

أخرجه ابن عساكر فى تاريخه مطولا ، وفيه ذكر خروج الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام .

قلت : والذى فهمته من هذا الأثر مع ذاك الحديث ـ أنه لابد عند رأس كل مائة سنة من محنة شديدة ، فيقرنها الله بمنحة عظيمة ، وهو الذى يبعثه لتجديد الدين وإحيائه رحمة منه بعباده ، وجبرا لما حصل من الوهن بتلك المحنة ، ولذلك أدخل أبو داود الحديث فى كتاب الملاحم ؛ إشارة إلى ذلك ، وأنه إذا وقعت فتنة جبرها الله بمن يجدد الدين .

كما ورد فى الحديث «إن لله عند كل بدعة ينكب بها الإسلام وليا من أوليائه يذب عن دينه» .

فلذلك لما كان فى آخر المئتين أعظم المحن والفتن ، وهو خروج الدجال ، كانت المنحة القابلة بنزول عيسى ، أعظم من كل من جاء فى مئين المتقدمة ؛ لأن المنحة على قدر المحنة ، فصلح أن يكون فى مقابلتها ، ولابد فى تلك المحنة أن تكون عامة ، إما عموما مطلقا فى الأرض ، أو فيها نوع عموم .

وكذلك لابد أن يكون المبعوث على رأس المائة ـ أن يكون ـ نفعه عاما مطلقا فى

الأرض ، أو فيه نوع عموم ، فكان عند المائة الأولى الحجاج الذى عم ظلمه وفساده ، فجدد الله الدين بعده بعمر بن عبد العزيز ، ولهذا قال ميمون بن سهران : «إن الله كان يتعاهد الناس بنبى بعد نبى ، وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز» ، أخرجه أبو نعيم فى الحلية .

وكان عند المائة الثانية إظهار المأمون القول بخلق القرآن ، وغير ذلك من البدع الاعتقاديه ، وامتحان العلماء بذلك امتحانا عاما فى الأقطار ، ومن لم يجب ضُرب ، أو قيد وحبس ، أو قتل ، وذلك من أعظم الفتن من هذه الأمة ، ولم يدع خليفة قبله إلى شئ من البدع ، فقيض الله عند هذه الأمة الشافعى رضي الله عنه فطبق الأرض بعلومه ، وهو أول من أفتى بقتل من قال بخلق القرآن وتكفيره .

وكان عند المائة الثالثة فتنة القرامطة فى كثير من البلاد ، ثم إنهم دخلوا مكة ، وقتلوا الحجيج فى المسجد الحرام قتلا ذريعا ، وطرحوا القتلى فى بئر زمزم ، وخربوا الحجر الأسود بدبوس فكسروه ثم اقتلعوه وأخذوه إلى بلادهم ، وبقى عندهم أكثر من عشرين سنة ، حتى اشترى منهم بعد ذلك بثلاثين ألف دينار ، وأعيد إلى محله .

وكان عند المائة الرابعة الحاكم بأمر الله ، وناهيك بما فعل من الفساد ، بل هو أعظم شرا من الحجاج بكثير ؛ فإن الحجاج لم يأمر أحدا بالسجود له إذا ذكر اسمه فى الخطبة ، وأفاعيل الحاكم مشهورة معروفة .

ومما وقع عند رأس المائة الرابعة ـ ويصلح أن يعد هنا ـ أنه فى سنة سبع وأربعمائة اتفق انشعاب الركن اليمانى من الكعبة المعظمة ، وسقوط جدار من قبر النبى ﷺ ، وسقوط القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس ، فعد ذلك من أغرب الاتفاق وأعجبها .

وكان عند المائة الخامسة استيلاء الفرنج على كثير من البلاد الشامية ، منها بيت المقدس ، وقتلوا به وحده أكثر من سبعين ألفا ، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، مستعينين على الفرنج ، وأقام بيت المقدس بيد الفرنج بعد ذلك إحدى وتسعين سنة ، إلى أن أخلصه الله منهم بالسلطان صلاح الدين بن أيوب .

وكان عند المائة السادسة خروج التتار ، وعموم فسادهم معروف .

وكان عند المائة السابعة محلاً وفناء عظيمين بديار مصر والشام ، بحيث أفنيت الحمر والبغال والكلاب أكلا ، وكان للتتار وقعات بالبلاد الشامية .

وكان عند المائة الثامنة فتنة تيمور لنك .

وأما هذه المائة فوقع عندها ثلاثة أمور ، كل منها يصلح أن يعد :

أحدها : استيلاء الفرنج على عدة بلاد من جزيرة الأندلس ، كغرناطة وغيرها .

الثانى : خروج خارجى ببلاد التكرور ، يقال له «سنى» على نمط تيمور لنك ، أباد العباد والبلاد ، وأقام عشرين سنة على ذلك إلى أن أهلكه الله ، سنة سبع وتسعين .

والثالث : عموم الجهل المطبق الأرضى ، وانقراض العلماء فى جميع الأقطار من أهل كل فن ، وهذا شئ لم يعهد مثله فيما تقدم من أول الملة إلى الآن ؛ فلقد كان يجتمع فى العصر الواحد من العلماء الأئمة من أرباب الفنون ما لا يحصون كثرة ، وما زالوا فى قلة وتناقص ، كل طبقة أقل عددا من الطبقة التى قبلها .

وكان أول الطبقات طبقة الصحابة ، وهم مائة ألف وأربعة عشر ألف نفس ، كلهم مجتهدون ، ثم طبقة التابعين وهم يقاربون هذا العدد ، وهم مجتهدون ، ثم تناقص الأمر فى وسط الملة ، ومع ذلك كان يكون فى العصر الواحد من العلماء الأئمة ألوف ، منهم من هو ـ بصفة الاجتهاد ـ نحو مائة ، أو أكثر ، بحيث إن المصنفين فى الأصول حكوا خلافا : هل يجوز انقراض ثلة المجتهدين فى عصر بحيث ينقصون عن عدد التواتر ، فمنهم من منع ذلك ، وقال : إنه يستحيل الوقوع ، ومنهم من جوزه إلى ثلاثة ، وقال : لا يجوز أن يكون فى العصر الواحد أقل من ثلاثة مجتهدين ، ومنهم من جوزه إلى واحد ، وقال : يجوز قلة المجتهدين -والعياذ بالله- بحيث لا يكون فى العصر إلا مجتهد واحد ، ولا يجوز خلو العصر من مجتهد ، فاستعاذ هؤلاء بالله من صيرورة الأمر إلى هذا الحد .

وهذه عبارة الإمام فخر الدين الرازى ـ رحمة الله ـ فى «المحصول» بحيث إن ابن عرفة ـ من أئمة المالكية ـ نقلها ، وقال : «قوله : والعياذ بالله يقتضى وجود المجتهدين فى عصره بكثرة» والأمر كما قال .

فقد كان فى عصره على رأس الستمائة أئمة بهذا الوصف ، ثم ازداد التناقص إلى رأس المائة الثامنة ، وكان عليها من أقطاب الأرض أكثر من مائة إمام ، إلا أن المجتهدين منهم قليل .

فممن كان على الثمانمائة : البلقينى ، وولداه ، والعراقى ، وولده ، وابن الملقن ، والبرهان الإنبابى ، والبرهان بن جماعة ، والعز بن جماعة ، والزركشى ، والمراغى ، وابن العماد ، والكمال الدميرى ، والمجد الشيرازى صاحب القاموس ، والجمال بن ظهيرة ، والريمى ، والحسانى ، والزين الفارسكورى ، والمجد البرماوى ، والهروى ، وابن عرفة ،

وابن خلدون ، وابن الدمامينى ، والعمادى ، والبرهان الشامى ، والحافظ أبو الحسن الهيثمى ، وخلائق .

فما جاء رأس هذه المائة وفى قطر من أقطار الأرض عالم يشبه واحدا من هؤلاء ، ولا يقاربه ولا يدانيه ، وعمَّ الجهل طبق الأرض ، بحيث إذا سمع أهله من يذكر الاجتهاد ، الذى هو فرض من فروض الشريعة استعظموه وعدوا ذلك من المنكرات الشنيعة .

ولا يفرقون بين المجتهد المطلق المستقل ، وبين المجتهد المطلق المنتسب ، بل ولا سمعوا ذلك بآذانهم ، فضلا عن أن يفهموه بقلوبهم .

هذا شأن من يدعى المشيخة منهم ، فضلا عمن دونه .

فيا ليت أولئك الذين لم يجوزوا ، وأقله المجتهدين فى عصر ونقصهم عن عدد التواتر ، يقومون من قبورهم فينظرون إلى هذا الزمان ، زمان أن سمع فيه أحد حديثا من أهله صحيحا قال : غريب ، أو علما منقولا قال : عجيب .

فالعجب كل العجب إنى رويت حديث التجديد الذى ألفت فيه هذا المؤلف فاستنكره ذلك المنكر ؛ لكونه ما طرق قط سمعه ، وأخذ يشغب ، ويشيع بكل شنعة ، ولقد كان هذا الحديث فيما تقدم من الزمان يعرفه الخاص والعام ، ويتداول على ألسنة السوقه والعوام .

ثم إن هؤلاء المنكرين يروى لهم القصاصُ الأحاديث المختلقة على رسول الله ﷺ وعلى جبريل ، فيتلقونها بالقبول ، ويعتقدون صحتها عن الله وعن الرسول ، فأبطلوا الحق ، وأحقوا الباطل .

وعطلوا الحالى وحلوا العاطل ، إن ذلك لا مراء أمر ، وإن هذا لهو الزمان الذى ورد فيه الحديث : «يأتى على الناس زمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر» إنا لله وإنا إليه راجعون .

فهذا يصلح أن يعد على رأس هذه المائة إذ لم ير أمر فيما تقدم نظيره ، ولا بها زمان فيما مضى شغوره .

وبهذا تم الكلام فى هذا التأليف .

وقد نظمت أرجوزة سميتها «تحقه المهتدين بأسماء المجددين» ، وهى هذه :

الحمد لله العظيم المنه ... المانح الفضل لأهل السنه
ثم الصلاة والسلام نلتمس ... على نبى دينه لا يندرس
لقد أتى فى خبر مشتهر ... رواه كل حافظ معتبر
بأنه فى رأس كل مائة ... يبعث ربنا لهذى الأمة
منا عليها عالما يجدد ... دين الهدى لأنه مجتهد
وكان عند المائة الأولى عمر ... خليفة العدل بإجماع وقر
والشافعى كان عند الثانية ... لما له من العلوم السارية
وابن سريج ثالث الأئمة ... والأشعرى عده من أمه
والباقلانى رابع أو سهل أو ... الأسفرانى خلق قد حكوا
والخامس الحبر هو الغزالى ... وإنه ما فيه من جدال
والسادس الفخر الإمام الرازى ... والرافعى مثله يوازي
والسابع الراقى إلى المراقى ... ابن دقيق العيد باتفاق
والثامن الحبر هو البلقينى ... أو حافظ الأنام زين الدين
وعد سبط الميلقى الصوفية ... لو وجدت مايته وفيه
والشرط فى ذلك أن تمضى المائة ... وهو على حياته بين الفئة
يشار بالعلم إلى مقامه ... وينصر السنة فى كلامه
وإن يكون جامعا لكل فن ... وإن يعم علمه أهل الزمن
وأن يكون فى حديث قد روى ... من أهل بيت المصطفى وهو قوي
وكونه فردا هو المشهور ... قد نطق الحديث والجمهور
وهذه تاسعة المئين قد ... أتت ولا يخلف ما الهادى وعد
وقد رجوت أننى المجدد ... فيها ففضل الله ليس بجحد
وأخر المئين فيها يأتى ... عيسى نبى الله ذو الآيات
يجدد الدين لهذى الأمة ... وفى الصلاة بعضنا قد أمه
مقررا للشرع عنا يحكم ... بحكمنا إذ فى السماء يعلم
وبعده لم يبق من مجدد ... ويرفع القرآن مثلما بدي
وتكثر الأشرار والإضاعة ... من رفعه إلى قيام الساعة
وأحمد الله على ما علما ... وما جلا من الخفاء والعمي
مصليا على نبى الرحمه ... والآل من أصحابه المكرمه

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الحمد لله الذي خص
هذه الامة الشريفة بخصايص واصحبه للمهتدين وبعث على
راس كل مائة سنة من يجدد لها امر الدين والصلوة والسلام
على سيدنا محمد سيد المرسلين وامام المتقين وعلى آله وصحبه
وسلم نجوم الهداة ورجوم المعتدين وبعد فهذا كتاب سميته
التنبية بمن يبعثه الله على راس كل مائة اخرج ابو داود في سننه والحسن
بن سفيان في مسنده والبزار والطبراني في الاوسط وابن عدي
في مقدمة الكامل والحاكم في المستدرك وصححه وابو نعيم في الحلية
والبيهقي في المدخل من طريق خالد بن وهب عن سعيد ابن ابي
ايوب عن شراحيل بن يزيد المعافري عن ابي علقمة عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبعث لهذه الامة على
راس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها اتفق الحفاظ ابو الفضل
بن حجر في مناقب الشافعي انا المتقدمون كلهم لهجوا بذكر هذا
الحديث فاخرج الحاكم في مستدركه عقب روايته الحديث عن ابن وهب
عن يونس عن الزهري قال فلما كان في راس المائة من الله على هذه
الامة بعمر بن عبد العزيز قال الحافظ ابن حجر وهذا يشعر بان
الحديث كان مشهورا في ذلك العصر ففيه تقوية لسنده مع
انه قوي لثقة رجاله انتهى وقال ابو جعفر النحاس في كتاب الناسخ
والمنسوخ قال سفيان بن عيينة رحمه الله بلغني انه يخرج في كل
مائة سنة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من
العلماء يقوي الله به الدين وان يحيى بن آدم عندي منهم انتهى
وكانت وفاة يحيى بن آدم سنة ثلاث وثمانين وكان مولى خالد

الصفحة الأولى من المخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط